سراب دعاوى الصوفية وأدعيتهم(١)

غَشَّتِ الصوفية بصائر عشاقها بما تسحر به من فنون الخيال الْغَزَلِيِّ، والشاعِرِيَّة الحالمة، وتأَنُّق الفتنة في الصور البيانية المكحولة الروعة. ذلك ما جعل بعضهم يجادلنا في شأن الصوفية، فيأتينا بأدعية ونجاوىٰ صوفية فيها وَشْيُ السحر الشاعر وفتنته، ثم يقول: أَوَمَنْ يقولون مثل هذا تفتري عليهم أنهم غير مسلمين؟!

لهؤلاء الذين خلبهم عشق الصوفية أقول: ما من كهان نحلة ضالة، أو أحبار دين زائف إلّا وناجوا معبودهم بأروع مما ناجت به الصوفية أربابها، ودَعَوْهُ بما يخيل إليك من سحره أنه ضراعة نبوة في فجر الوحي، فهل نعدهم مسلمين بتلك النجاوىٰ، وهذه الأدعية؟!

سلوهم قبل الفتنة: لمن هذه النجوىٰ؟ ولمن تضرعون بهذا الدعاء؟

سلوهم عن صفات من يعبدونه، وعن أسمائه الحسنىٰ، وعما أمرهم به، وهناك - حين يَصُكُّ سمعكم ما يجيبون به - تؤمنون أنهم لا يناجون الله، ولا يدعونه، وإنما يفعلون ذلك لآلهة متباينة وأرباب شتىٰ.

ومما يجادلنا به عشاق الخبل الصوفي قولهم: ألم تر إلىٰ ابن الفارض كيف ناجىٰ ربه:

وإن خطرت لي في سواك إرادة … علىٰ خاطري يومًا حكمت بردَّتي

وعلىٰ ما في هذا البيت من غلو الإسراف في التجرد(٢)، وحقارة الكذب، فإن

---

(١) (٤/ ١٣٧٥هـ).

(٢) للإرادة الإنسانية مجال فساح من الخير الذاتي كإرادة الزواج وإرادة كسب العيش، =

هؤلاء ينسون أن ابن الفارض لا يناجي بهذا البيت رَبَّ محمد، وإنما يناجي به ربًّا افتراه هو لنفسه ولحزبه، ربًّا يتَعَيَّن في صورة كافر ومؤمن، وثن وإنسان، ينسون ما طفحت به تائيته الكبرىٰ من زندقة صريحة، وحسبك منها قوله.

ولولاي لم يُوجَدْ وجودٌ، ولم يكن ... شهودٌ، ولم تُعْهَدْ عهودٌ بذمة
فلا حَيَّ إلا من حياتي حياته ... وَطوْع مُرادي كلُّ نفس مريدة
وفِيَّ شهدت الساجدين لمظهري ... فحقَّقْتُ أني كنتُ آدمَ سَجْدَتي

بل حسبك قوله: (وطوع مرادي كل نفس مريدة) لتعرف أن ابن الفارض حين يناجي ما يسميه ربًّا، فإنما يناجي ابن الفارض الذي تَجَسَّد فيه ذلك الرب، يناجي ربًّا افتراه هواه، ووصفه بشهواته، فهل تُحِسُّ في شعره نفحة واحدة من روحانية الإسلام؟

ويجادلوننا بقولهم: ألم تر إلىٰ رابعة العدوية، كيف حَلَّق بها الحب الإلهي إلي الذروة العليا، فجعلها تهتف من وهج الحب وسعيره: (ما عبدتك خوفًا من نارك، ولا طمعًا في جنتك وإنما عبدتك لذاتك) تعني أنها تجردت من كل رغبة ورهبة، أو طمع وخوف!!

وهؤلاء ينسون أن رابعة بهذا السحر الصوفي الخلوب، تستشرف مقام

= وإرادة التمتع الروحي بما أبدع الله من جمال رائع في جنات الأرض، وما علىٰ من يريدها جناح من الله ذي الرحمة الواسعة، ألم يقل عليه الصلاة والسلام: «**حبب إلي من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة**»، وهل هذا الحب إلا إرادة مصممة قاهرة؟

الألوهية، وتجعل من نفسها ذاتًا تسمو في مقامها عن مقام الرسل الذين جعل الله من صفاتهم أنهم يدعونه رغبًا ورهبًا، أو طمعًا وخوفًا.

يقول الله عن عبده زكريا وآله: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾ [الأنبياء: ٩٠] وتأمل هذه الآيات التي يهديك الله بها إلىٰ الحق، وتنجيك من سحر رابعة: ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦] يصف الله من يدعونه خوفًا وطمعًا، بأنهم يسارعون في الخيرات، وبأنهم خاشعون، وبأنهم المحسنون، والإحسان أسمىٰ مراتب العبادة، وأكمل مقامات العبودية، والعبودية غاية الحب، مع غاية التذلل.

﴿۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [النحل: ٥١] في مقام الدعوة إلىٰ التوحيد الخالص يدعونا الله أن نرهبه وحده﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ١٥ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ١٦﴾ [السجدة: ١٥-١٦]

دعاء الله خوفًا وطمعًا جُعِل في الآية من أصدق الدلائل علىٰ الإيمان الحق، بل من أخص صفات المؤمنين الذين هم جديرون بحب الله، تدبر وصف الله لهؤلاء الْقِدِّيسين من أوليائه بأنهم الداعون الله خوفًا وطمعًا، المتجافية جنوبهم عن المضاجع لدعائه، فما لرابعة؟!

من أخص خصائص البشرية التي لا تفارقها، إلا بسكر أو جنون أو موت أنها ترغب وترهب، حتىٰ بشرية الأنبياء، وبشرية الرسل، ترغب وترهب وهي في

أسمىٰ مقاماتها ومن أصدق الدلائل علىٰ الحب أن ترغب في رضا[1] المحبوب، وأن ترهب غضبه، فإذا لم تكن ثم رغبة فقد سئمته، وإذا لم تكن ثم رهبة فقد احتقرته، وإذا تسامىٰ الحب قويت الرغبة واشتدت الرهبة، إذا قوي الحب، وابتليته وجدت الرغبة والرهبة جناحيه اللذين يحلق بهما فإذا حرمت أحدهما، فأنت في الحب دَعِيّ.

ولكن رابعة تزعم أنها تجردت من تلك البشرية بشرية القديسين، بشرية النبيين، بشرية الرسل، فماذا وراء هذا الزعم؟

ووراءه زعم آخر هو أنها أسمىٰ مكانة من أولئك المصطفين الأخيار وأنها ليست بشرًا بل إلهًا، فالملائكة أنفسهم يرغبون ويرهبون، بل ووراءه اتهامٌ لمن نَزَّل هذا الكتاب بأنه أخطأ- وتعالىٰ الله عن إفك رابعة- حين أمرنا أن نعبده خوفًا وطمعًا.

ودعواها أنها تجردت في حبها عن الرغبة في الجنة والرهبة من النار تحقير لشأن الجنة، وتهوين من شأن النار.

دعواها التجرد من الخوف والطمع في الحب شعور منها - وما أخبث هذا الشعور وأكذبه - بمساواتها لمن تحبه، إن لم تكن أسمىٰ منه!

ثم مَنْ رابعة هذه؟

أليست هي التي جَدَّفت علىٰ الكعبة بهذا البهتان (هذا الصنم المعبود في

---

[1] (١) دليل الرضا في الآخرة الجنة، ودليل غضبه سبحانه في الآخرة النار، فإذا لم ترغب في جنته، وترهب ناره، فأنت من أدعياء الحب.

الأرض)(١)؟!.

وينتفض هؤلاء إعجابًا بمعروف الكرخي(٢)؟ إذ يروون عنه أنه بال علىٰ شاطئ نهر، وتيمم ولم يتوضأ علىٰ حين كان الماء تحت يده فقيل له: يا أبا محفوظ!! الماء منك قريب، فقال: لعلي لا أبلغه(٣).

ويهلل الصوفية ويكبرون لهذا الخبال الصوفي!! ألا يذكر هؤلاء أن لله فريضة اسمها الوضوء، وأخرىٰ اسمها الغسل، وأن الله لم يبح لمسلم أن ينصرف عنهما إلىٰ التيمم إلا بشروط ليس منها أن يكون الماء قيد أنملة!!

قولوا إذن للمسلمين: اتركوا الوضوء، واهجروا الغسل، فهذا معروف الكرخي يتيمم والماء منه تحت يده!! قولوا لهم: اهجروا شرعة الله، ولوذوا بهوس الكرخي!! والله أبر بعبده، وأرحم من أن يجزيه بسوء، لو أنه قبض روحه قبل أن يبلغ الماء ليتوضأ.

---

(١) انظر ص(٣٨) وما بعدها من كتاب شهيدة العشق الإلهي للدكتور بدوي.

(٢) هو معروف بن فيروز أبو محفوظ الكرخي. توفي سنة ٢٠٠ هـ. وكان أستاذه السري السقطي، وقد قال له: (إذا كانت لك حاجة إلىٰ الله: فأقسم عليه بي)، فتأمل منذ متىٰ كفرت الصوفية!! انظر ص(٩) الرسالة للقشيري مطبعة التقدم.

(٣) ص(٨٣) طبقات الصوفية للسلمي، وقد نسبه أبو طالب المكي في القوت إلىٰ الرسول. انظر (صـ٢٩ جـ٣) من القوت ط ١٣٥١ هـ. ولقد كان رسول الله ﷺ يطوف علىٰ نسائه جميعًا ثم يغتسل منهن بغسل واحد، فلماذا كان لا يتيمم أو يغتسل عقيب كل واحدة؟ بل كان ينام أحيانًا جنبًا أكان معروف أشد من الرسول خوفًا من الله؟

ويبهتون ابن حنبل أنه سأل بشرًا الحافي(١) عن الزكاة، فقال له بشر (عندنا أم عندكم؟) فقال له ابن حنبل (عندنا).

فقال بشر: (أما عندكم، فالعشر)، فقال ابن حنبل: (وعندكم؟).

قال بشر: (العبد وما ملكت يداه لسيده) وتبرق عيون الصوفية بالسرور السكران، وتميد أعطافهم من نشوة الخمر الصوفي!!

هؤلاء ينسون الإثم الكبير، بل الخطيئة الآثمة في قول الصوفي الحافي: (عندنا أم عندكم) فإنه وحي أسطورتهم التي يفترون بها أن الدين شريعة وحقيقة!!

وأن الأولىٰ دين أهل الظاهر، وأن الأخرىٰ دين أهل الباطن!!

ويتناسون أنه ينتسب إلىٰ غير أهله حين يزعم أن هذا الحق الذي قرره (العبد وما ملكت يداه لسيده) هو دين الصوفية، أو من دين الباطن.

إن هذا الحق الذي خلبت روعتُه ألبابهم، ونسبه بشر إلىٰ الصوفية إنما هو قبس واحد من نور القرآن: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة: ١١١].

---

(١) هو بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء المروزي، المشهور ببشر الحافي، ولد سنة (١٥٠هـ)، كان أول عمره يمشي حافيًا ويطلب العلم فاشتهر بذلك، صحب الفضيل بن عياض، توفي سنة (٢٢٧هـ). وقيل: أنه حلف أن لا يلبس نعلًا. [انظر: «طبقات الأولياء» صـ(٢٠٩)، السير (١٠/ ٤٦٩)].(ض).

هذا هو الحق الإلهي في جماله وجلاله: فلم تنسبون ضياء الشمس إلىٰ عتمة الليل؟ تنسبون الحق إلىٰ مؤتفكي الباطل؟

ثم مَنْ سيد بشر؟(١) لقد عرفتم سيد الصوفية الذي يعبدونه، فاعرفوا إذن سيد بشر!

ويذكرنا هؤلاء المسحورون بدعاوىٰ الصوفية، إذ يفترون (كلامنا هذا مقيد بالكتاب والسنة) وكذلك زعمت كل فرقة نجمت في الجماعة الإسلامية حتىٰ تجد لها أنصارًا وأعوانًا من الأغرار، قالتها من قديم الشيعة التي تؤله أئمتها، وقالتها المعطلة وقالتها المجسمة، وتقولها في الحديث البهائية والقاديانية، وقد زعم النابلسي- وهو صنم صوفي - أن وحدة الوجود دليلها الكتاب والسنة. إنك لا تستطيع أن تمنع إنسانًا من أن يدعي ما يشاء، ولكن الذي تستطيعه هو أن تبتلي دعواه، وتزنها بميزان الحق، وثمت تستطيع أن تحكم عن بينة عليه بالصدق أو بالكذب فيما ادعاه، وقد ابتليت معتقدات الصوفية وآلهتها، فهل ترىٰ لها أثارة من نسب إلىٰ الكتاب والسنة؟

ليس المهم أن تقول، بل الأهم أن تعمل بما تقول، فهل يعمل الصوفية بالكتاب والسنة؟

ويذكرنا هؤلاء بالأدعية الصوفية التي تتبرج فيها أنوثة البيان الفاتنة، وتنوح فيها دموع الحب وتئن جراحه، ولكني أُذكِّرُ هؤلاء بأن البرهمية أو البوذية(٢)

---

(١) بشر بن الحارث أبو نصر الحافي. مات سنة ٢٢٧ هـ.

(٢) البرهمية: نسبة إلىٰ (برهما) الكائن الأوحد، كما سمي في (الفيدا) كتاب الهند القديم المقدس، =

ناجب ربها بصلوات من الدعاء يغازل الروحَ شعرُها بالروعة الآسرة، شفَّافة الترانيم عن نفس دَلَّهَا العشق وقلب تبله الغرام، وكذلك صنعت الزرادشتية والمانوية(١)، وكذلك الفرعونية واليهودية والمسيحية والبهائية والقاديانية(٢)، وأنت - إذ تتلو من أدعية هؤلاء دون أن تعرف نسبتها- لن تشك في أنها ضراعة قديس في فجر المحراب الطهور، فهل تشفع لهم عند الله هذه الأدعية؟ وهل نعدهم بها دعاة حق وجنود إسلام؟

=

وتؤمن هذه النحلة بثلاثة آلهة (براهمان) الرئيس الأعلىٰ، و(فيشنو) إله الحياة، والثالث: (سيفا) وهو إله التدمير والخراب، وتؤمن هذه الطائفة بقدسية كهنة الدين لأنهم في نظرهم الذين يملكون الشفاعة لهم عند الآلهة والتأثير عليهم.

أما البوذية: فنسبة إلىٰ «بوذا» متنبئ هندي، ولد في القرن السادس قبل ميلاد المسيح، وقد تطورت البوذية حتىٰ اعتقدت في بوذا أنه إله تجسد لينقذ البشرية بأن تحمل عنها عبء خطاياها.

(١) **الزرادشتية**: نسبة إلىٰ زرادشت، متنبئ فارسي، ولد في القرن السابع قبل المسيح، وكتاب الزرادشتية المقدس هو (زند أفيستا) وتؤمن بإلهين، أولهما إله الخير واسمه (هو رمازدا) وثانيهما إله الشر واسمه (أهرما) إلا أن زرادشت يؤمن بتغلب الخيرية علىٰ الشرية في الدنيا، لهذا كانت ديانته تفاؤلية لا تشاؤمية كما في ديانة ماني.

(٢) **القاديانية**: نسبة إلىٰ غلام أحمد أو ميرزا علي محمد الذي ولد سنة ١٨٢٠ م، وقد ادعىٰ غلام هذا أو ميرزا علي أنه المسيح الموعود أو المهدي المنتظر، وقد انشطر أتباعه شطرين، أحدهما: الأحمدية، والآخر: القاديانية، والأولىٰ أقل غلوًّا من الأخرىٰ، والبهائية: نسبة إلىٰ ميرزا حسين علي الملقب بالبهاء، وخلاصة دينه: أن الله يظهر في دورات متعاقبة في صور الرسل وأنه أي البهاء أتم وأكمل صورة للتجسد الإلهي.

ما للصوفية من سحر تغوي به النفوس سوىٰ تلك الأخيلة التي تُوَشِّي بها نجاواها التي تعتلج بسعير العشق، ولكنه عشق مَنْ؟ إنها لا تعبد الله، ولا تؤمن بربوبيته ولا بإلهيته ولا بصفاته، ولا بأسمائه، ولا بوحيه، فكيف بنا نخدع فنظن أن أدعيتها السحرية تضرع إليه؟ إن الصوفية بدعائها تناجي ربًّا افتراه هواها وابتدعت صفاته وأسماءه، ولكنها تقنعت بالرياء الخاتل فسمته باسم الله(١).

وهاك أنماطًا من الأدعية فاقرأها، وتدبرها، وثمت تشعر بقلبك، وقد غمره اليقين بأنها ضراعة عبودية متبتلة، أو نبوة تدعوها السماء، بيد أنك حين تعرف حقيقة من بث دموع الحب في تلك الأدعية، وإلىٰ أي دين هو ينتسب، إنك حين تعرف ذلك سيرود بك العجب كل مراد له، وستأسىٰ علىٰ هذا الحلم الجميل الذي نعم به خيالك لحظة، بل ستشعر كأنما تهوي من قمة السماء إلىٰ غور جب سحيق عميق. بيد أن هذا سينجيك من السحر الصوفي الذي يفتنك عن الحق بما يوشع لك من أدعية، فتظن بالصوفية ظن الخير، وتحسبها مع المسلمين في محراب! اسمع هذا الدعاء: (**اللهم لتكن مشيئتك أن أسير في طريق شريعتك، وأن أرتبط ارتباطًا وثيقًا بوصاياك. اللهم احمني من الذنوب والعصيان وإغراء الشيطان، ولا تجعلن للشهوات سلطانًا علي ولتكن إرادتي خاضعة لك، أعني علىٰ التمسك**

---

(١) **اسم الرب الصوفي عندهم**: (العماء، أو الوجود المطلق) هذا في حال تجرده أو إطلاقه، أما في تعينه فاسمه (الحقيقة المحمدية) وما له من صفة خاصة به، ولا اسم واحد يطلق عليه فكل صفة خلقية هي صفته، وكل اسم يطلق علىٰ مسمىٰ فهو اسمه لأنه عين كل مسمىٰ في الوجود من حيوان وإنسان وجماد ونبات غير ذلك.

بالخير، واشملني برعايتك آمين اللهم آمين)(١).

أترىٰ في هذه النجوىٰ أثارة من باطل؟ أم تجدها صالحة لكي تدعو بها الله، وأنت حول بيته؟

وتأمل قوله: اللهم، اللهم، وقوله: (لتكن إرادتي خاضعة لك)(٢) ولكن أتدري لمن هذا الدعاء؟

إنه ليهودي!.

والله تعالىٰ يقول عن اليهود ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ٣٠﴾ [التوبة: ٣٠]، ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ١١٢﴾ [آل عمران: ١١٢]، ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٦١]، فهل شفع ذلك الدعاء وغيره عند الله لليهود؟

كلا، وإن راحوا يملئون به سمع الوجود، لأنهم لا يدعون به الله، وإنما يدعون به ربًّا آخر اختلقته أوهامهم المادية الصماء، فقد رفعوا أيديهم إلىٰ السماء، وهي ملطخة بدم النبيين، وقلوبهم تستعبدها أرباب مادية!!.

---

(١) ص(٢٤٦) كتاب الفكر اليهودي جمع دكتور هرمس ترجمة ألفريد يلوز.

(٢) قارن بهذا قول ابن الفارض: (وطوع مرادي كل نفس مريدة) لتحكم أي الرجلين أخبث دينًا.

وهاك آخر: (إلهي عليك توكلت، فلا أخزىٰ إلىٰ الأبد، عرفني يا رب طرقك، وسبلك، علمني أرشدني إلىٰ حقك، وعلمني لأنك أنت هو إلهي ومخلصي، وإياك رجوت اليوم كله[1]، إذا تصورت كثرة أفعالي الرَّدِيَّة أنا الشقي، فإني أرتعد من يوم الدينونة الرهيب، لكن إذ أنا واثق بتَحنُّنِ إشفاقك أهتف إليك مثل داود: ارحمني يا الله كعظيم رحمتك)[2].

وتلك النجوىٰ الحنون، ألا تجدها رَفَّافَةً بروح الحب الآمل في رحمة المعبود؟ ألا ترىٰ فيها الهتاف بدعاء «يا الله»؟.

ولكن أتدري ما هي؟ إنها صلاة رومية أرثوذكسية، والله تعالىٰ يقول عن هؤلاء ومن دان دينهم: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [المائدة: ٧٣] ويقول: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة: ٨٧-٧٩]، فهل شفع، أو يشفع هذا الدعاء ومثله لهم؟ أتراه ينسخ عنهم حكم الله بأنهم كافرون؟

كلا، وإن تجاوبت بأصدائه جنبات الوجود!!

وتأمل الدعاء تجد مفتريه يقول: (يا الله) فهل يضعه هذا مع المسلمين؟

كلا، فقد آمنوا برب هو ثالث ثلاثة، فلم يناجوا بها (الله) حقًّا، وإنما ناجوا ربًّا

---

(١) ص(٢٦٧، ٢٤١) كتاب خلاص النفوس في الصلوات والطقوس.

(٢) ص(٢٦٧، ٢٤١) كتاب خلاص النفوس في الصلوات والطقوس.

تجسد في ثلاثة مظاهر.

وكفْر الصوفية، أشد شناعة فقد آمنت برب هو عين كل شيء، أو كما يقولون في تسبيحتهم: (المظاهر عين الظاهر) يعنون بالمظاهر أنواع الخلق، وبالظاهر الله تعالىٰ وتقدس وهاك دعاء آخر: (السلام عليك أيها الإله العظيم، لقد أتيت إليك يا سيدي في سلام، فكن بي عطوفًا، فأنت صاحب العطف، واستمع لندائي، ولَبِّ ما أقوله، فإني أنا واحد من عابديك)(١).

أتنكر من هذا الدعاء شركًا، أو تستنكر منه وثنية؟

ولكنك إذ تبتلي معتقد صاحبه تفر مذعورًا منه بعاطفتك، فإنه لوثنية فرعونية عبدت ربها في صورة عجل أو كوكب، وكذلك الصوفية، بل إنها مرغت تلك الوثنية الفرعونية في ردغتها، ثم خرجت بها زندقة تعبد كل شيء!!

ثم استمع إلىٰ هذا الدعاء: (ربنا إنا نتوجه إليك، ونتضرع بين يديك، ونذكرك بالتهليل والتكبير، ونثني عليك بالتسبيح والتقديس، إلهي وملاذي، وكَهْفَ صَوْني وعوني في شدائدي وبلائي، إني أبسط إليك أكف الضراعة، وأمد إليك أيدي الابتهال، يا ربي المتعالي، ويا ذا الجلال والجمال أن تنزل كل بركتك وموهبتك، وسابغة رحمتك، وسابقة نعمتك علىٰ أحبتك الذين شملتهم لحظات أعين رحمانيتك)(٢).

فهذه الْمُضَمَّخَةُ بالعبير سكران الروح، غرامي النفح، أتحس فيها شيئًا يرغب عنه إخلاُص توحيدك؟ ولكن أتدري لمن هي؟

---

(١) ص(٣٤١) مصر تأليف أدولف إرمان وزميله، ترجمة الدكتور عبد المنعم بكر.

(٢) ص(٢٢٠، ٢٦٥) مكاتيب عبد البهاء.

إنها للزنديق القزم القميء عبد البهاء(١) يناجي بها ربه، فهل تجعل منه هذه الصلاة مسلمًا ناسكًا في الفجر؟! كلا؛ فإنه لا يناجي بها الله، وإنما يناجي بها أباه ميرزا حسين علي الذي آمن به زنادقة الشيعة أنه أتم وأكمل وأسمىٰ مظهر تجسدت فيه الذات الإلهية فقد زعم لهم ذلك، فآمنوا بما زعم!!

وقد زادت الصوفية هذا الكفر خطيئة، فافترت ربًّا يتجسد بِهُوِيَّتِه وإِنِّيَّتِه وماهيته، أو بباطنه وظاهره وحقيقته في كل شيء!!

* * *

---

(١) اسمه عباس، فلما أن ادعىٰ أبوه ميرزا حسين علي الربوبية، وأطلق علىٰ نفسه لقب (بهاء الله) لقب عباس نفسه بعبد البهاء.